

المحاضرة الخامسة

ب - فن النحت:

اتخذ فن النحت في تطوره منهاجا في الرغبة الجامحة بالتزود من تراث القدماء من رومان ويونان. وقد اوجد دوناتيللو بصورة خاصة مدرسة جديدة في اعمال النحت عرفت بالمدرسة الطبيعية وكان هو رائدها. اعتبر دوناتيللو اعمال الطبيعة مصدرا اساسيا من مصادر الالهام فأبرز في اعماله جمال الطبيعة وتناسق الاجساد وتعابير الوجه وسعى دوما لجعل تماثيله طبيعية عادية بعيدة عن التكلف.

تأثر ابرز نحاتي عصر النهضة مايكل انجلو بالمدرسة الطبيعية وتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الأغريقية والفلسفة اليونانية ونظرتها للانسان، فحاول دائما أن يبرز في اعماله القوة والعظمة مؤكدا في تصويره للجسد على العضلات موضحا تقاطع الجسم محاولا تذريقها واعطاء الأشخاص تعابير جمالية مثالية.

ولد انجلو في مدينة كابريسه بالقرب من فلورنسا وذاع صيته حين قام بنحت المجموعة الرخامية الشهيرة التي تمثل العذراء والطفل ومع ان انجلو كان

يُفضل فن النحت على أي فن آخر إلا أنه كان متفوقاً في الرسم وهندسة البناء مغرماً بكتابة الشعر. وقد دعاه البابا يوليوس الثاني إلى نحت ورسم سقف كنيسة سيستين في الفاتيكان، فأمضى أنجلو أربعة أعوام ونصف يقوم بتلك المهمة التي بذل فيها بخل ما عنده من فكر وإبداع فني. وكان أنجلو يعمل مستلقياً على ظهره فوق منصة عالية حتى أنجز إنتاجه الرائع الذي يُعتبر أعجوبة من أعاجيب الفن في التاريخ.

ولأنجلو أعمال أخرى في النحت تنطق بعبقريته مثل تمثال العذراء والمسيح المقام في كنيسة القديس بطرس في روما وتمثال داود العظيم المنحوت من الرخام وقد نُصب هذا التمثال أمام قصر الإمارة في فلورنسا عام 1504.

ج - فن الرسم

كان فن الرسم قد بلغ مرحلة لا بأس بها في أواخر العصور الوسطى إلا أنه كان حبيس اتجاهات الكنيسة وخدمة أغراضها. وكان الرسم يتم على جدران الكنائس والقصور أو على الخشب. أما في عصر النهضة فيعتبر الإيطاليون فن الرسم فن عصر النهضة بالدرجة الأولى، ففي مطلع هذا العصر تعلم الإيطاليون في الرسم الزيتي وأساليب تحضير الأصباغ ومزجها بالزيت، وبدأ الرسامون يعالجون مواضيع بعيدة عن الروح الدينية مستمدين أفكارهم من الطبيعة والحياة والإنسان والجسد. ويعبرون في رسومهم عن العواطف والمشاعر والغرائز والأحاسيس. وعندما سادت أفكار عصر النهضة بشكل واسع اتخذ الرسامون من الإنسان موضوعاً لذاته فأبرزوا قوته.

وكان أبرع رسامي عصر النهضة هو ليونارد دافنشي (1452 - 1519) الذي بلغ قمة الإبداع في رسمه لوحة العشاء الأخير الشهيرة، وقد دل بلوحته هذه أنه كان متمتعاً في إدراكه للنفس البشرية وانفعالاتها وردود أفعالها من خلال المنظر الرائع الذي جمع بين المسيح وحواريه الاثني عشر وهو يعلن لهم أن أحدهم سوف يخونه. وقد ظهر وجه المسيح بصفاته الروحانية وهدوئه الكبير بينما ظهر على وجوه أتباعه الاضطراب والوجوم. وفي عام (1506) رسم دافنشي في فلورنسا رائعته.

الشهيرة الموناليزا (جيوكندا) وهي لوحة لسيدة شابة جميلة كانت متزوجة من ضابط يكبرها سناً اسمه جيوكندا، وكان حاكم فلورنسا معجباً بجمالها الهادي الحزين فأمر دافنشي برسمها، فوضع الأخير كل طاقاته ونبوغه ومواهبه في رسم تلك الصورة التي استغرق عمله فيها أربع سنوات حتى خرجت رائعة خالدة ما تزال موضع الإعجاب والنقاش. لم يكن دافنشي رساما فقط بل مارس النحت والعمارة والرياضة والهندسة وكان يهوى الآداب والموسيقى والشعر والجيولوجيا وعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح، ودرس الفن في فلورنسا في مرسم أحد كبار الرسامين والنحاتين.

كان الى جانب دافنشي روفائيلو (1483 - 1520) الذي اشتهر اسمه رغم صغر سنه وقد سحرته اعمال ليونارد دافنشي ومايكال أنجلو فتأثر بهما كثيراً واعتبر ثالث الثلاثة الكبار عمالة الفن. تعلم روفائيلو ادراك الابعاد من استاذة بيروجينو الذي علمه قواعد

الفن. واستوعب روفائيلو اساليب توزيع الضوء والצל في الرسوم من دافنشي وتأثر بعبقريّة انجلو في دراسة الجسد الانساني ولكنه فاقهما في توافق الألوان، ولم يكن روفائيلو تلميذا يقلد اساتذته بل استفاد منهم ثم فاقهم في الابتكار والابداع فكانت له شخصيته القائمة بذاته، واختلف عن اساتذته في انه لم يكن واقعيا برسم نماذجه كما هي في الطبيعة بل كان يبدع فيها طبقا للفكرة التي كونها في ذهنه.

دعا البابا يوليوس الثاني روفائيلو للإشتراك في تزيين قاعات الفاتيكان، وقد استطاع في ستة اشهر ان يصنع بالتصوير الجبسي على الجدران روائع فنية تنطق بنبوغه وعبقريته ومنها «مدرسة اثينا» التي اوضح فيها خلاصة تاريخ الفلسفة و (السر المقدس) التي لخص فيها تاريخ الكنيسة إضافة الى لوحاته العديدة والرائعة للسيدة العذراء مات روفائيلو في عز شبابه قبل ان تستنفذ النهضة الفنية منه كل طاقاته.

ج - انتقال النهضة إلى غرب أوروبا

لعبت عوامل عديدة دوراً مهماً في انتقال النهضة من إيطاليا إلى أوروبا، وكان في مقدمة هذه العوامل اختراع الطباعة الذي سهل عملية توزيع المؤلفات العلمية والأدبية على جماهير الشعب ومنها كتب التراث التي امتد توزيعها ونشرها خارج إيطاليا. يضاف إلى هذا أن الباحثين وطلبة العلم من بلدان أوروبا الغربية أخذوا يترددون على جامعات إيطاليا وأكاديمياتها للدراسة على يد الأساتذة الإيطاليين. وقد كان هؤلاء الأوربيون الغربيون متأثرين بفكر النهضة الإيطالية ومعجبين بالتراث القديم وبعقلية الإنسانيين. من جانب آخر أخذ الإنسانيون الإيطاليون يتجولون في أوروبا الغربية ليبشروا بأفكار النهضة وليعلموا الناس آداب القدماء وفنونهم. وقد كان لهذه الاتصالات أثرها بحيث أن جامعات أوروبية كثيرة استدعت أساتذة ومحاضرين إيطاليين ليدرسوا طلبتها فكر النهضة الإيطالية وفنونها وآدابها. لقد أدت هذه العوامل إلى انتقال النهضة من إيطاليا إلى أوروبا مما ساعد في ظهور مفكرين وعلماء أوروبيين تبناوا النهضة في بلادهم وفي أوروبا عموماً ومنهم (أرازم) الذي يعود له الفضل الكبير في نشر فكر النهضة في بلده هولندا وفي كل بلاد أوروبا حيث اشتهر اسمه وارتفعت مكانته وكثر طلابه. كان أرازم إنسانياً درس علوم القدماء من يونان ولاتين وحضارة عربية إسلامية، ونقل ما تعلمه إلى الأوربيين الغربيين وقد اختط أرازم لنفسه نهجاً خاصاً ميزه عن الإنسانيين الأوربيين، فقد أراد أن يجعل من الدراسات الإنسانية وسيلة لتقويم

المجتمع وتخليصه من شروره وشوائبه وإصلاح الكنيسة ورفع مستوى رجالها لأنه كان مؤمناً إيماناً شديداً بالمسيحية وبتعاليم المسيح. وقد عمل على نشر الكتاب المقدس باليونانية مع ترجمة مبسطة باللاتينية لكي يطلع عليه عامة الناس ليعودوا، كما كان يعتقد، إلى ينباع المسيحية الأولى بما تمثله من بساطة وإنسانية ورحمة.

زار أرازم أكثر الجامعات الأوروبية الغربية وحاضر فيها وصار له تلاميذ وأتباع ومحبين في كل مكان يعملون مثله على الاهتمام بالدراسات الإنسانية ليس لذاتها كما كان يفعل الإيطاليون وإنما لاستغلالها من أجل إصلاح الكنيسة وتقويم المجتمع. لقد أصبح أرازم رائد مدرسة خاصة به في الدراسات الإنسانية جعلت له اتباع كثيرين في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا.

وإذا ما تناولنا موضوع النهضة في فرنسا التي شغلتها طيلة قرن تقريباً حروب المائة سنة ومشاكل العرش الداخلية، فإن انتقال النهضة إليها قد تأخر إلى مطلع القرن السادس عشر بعد غزو الفرنسيين لإيطاليا. في هذا الوقت انتشر تدريس اليونانية في الأكاديميات الفرنسية وخاصة في باريس حيث حضر اساتذة انسانيون في اليونانية واللاتينية القديمة. ومما شجع نمو الحركة رعاية حكام فرنسا لها ففتحوا قصورهم لرواد النهضة وأمدوهم بالمال والرعاية وأقاموا أكثر من مركز وأكاديمية للدراسات الإنسانية مثل الكلية الملكية في باريس التي أقامها فرانسوا ويجب أن لا يفوتنا ذكر شارل الثامن الذي جلب معه من إيطاليا إلى فرنسا عدداً من فنانى عصر النهضة فقامت في مطلع القرن السادس عشر منشآت وقصور ذات أسس إيطالية - فرنسية في معمارها وصار للفرنسيين في أواخر القرن فن يتسم بطابع النهضة الفرنسية تجلى بصورة خاصة في أساليب المعماري ليسكو. الذي خطط قصر اللوفر. لقد اتصف الفرنسيون عند إقبالهم على دراسة التراث بشخصيتهم القومية وثقافتهم الفرنسية، فجاء عصر النهضة في فرنسا أصيلاً بعيداً عن تقليد القدماء في الآداب والفن والفلسفة.

أما في أسبانيا فقد كان اتصالها بالنهضة في إيطاليا قديماً بسبب الوجود السياسي الإسباني في إيطاليا وهو عرش الفونسو الخامس الأراغوني في ميلانو، ونشطت هذه الاتصالات في عهد البابا الإسباني كاليكست الثالث والاسكندر. السادس حيث بدأ الانسانيون الإيطاليون ينشرون أفكارهم بين الأسبان. يضاف إلى هذا أن الدراسات اليونانية واللاتينية القديمة بدأت تدرس في جامعات هامة مثل إشبيلية والكالالا التي برزت في وقت من الأوقات بصفتها أبرز مراكز الدراسات الإنسانية في غرب أوروبا. إلا أن قيام حركة الإصلاح الديني ووقوف أسبانيا بقوة إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية أدى إلى ظهور معارضة قوية للحركة الإنسانية أداة النهضة من قبل الدولة الإسبانية والكنيسة مما أدى إلى إيقاف تطورها وتقدمها.

لقد لقيت فنون العمارة الإيطالية إقبالاً كبيراً من قبل الاسبان زمن الملوك الكاثوليك وظهرت هذه المؤثرات في كلية القديس غريغوار في فالادوليد وكذلك في واجهة بلدية اشبيلية. لكن الاسبان كونوا في منتصف القرن السادس عشر طرازاً في العمارة والنحت خاصاً بعصر نهضتهم.

وفي انجلترا أعاققت حروب المائة سنة وحرب الوردتين تقبل الانجليز لأفكار النهضة ومسايرة ركبها. ثم جاءت أولى رياح النهضة اليهم على يد عدد قليل من الطلاب والدراسين الذين بهرتهم أنوار عصر النهضة في ايطاليا فقصدوا جامعاتها ليتعلموا على أيدي أساتذتها ومن أبرز هؤلاء كوليت Colet الذي بدأ يحاضر منذ سنة 1496 في علم اللاهوت مطبقاً أساليب فاللا في النقد التاريخي على رسائل القديس بولس، وكذلك برع في الدراسات الانسانية في انجلترا توماس مور ابن البورجوازية الانجليزية ورفيق وصديق ارازم. كما تبنت جامعتا اكسفورد وكمبرج مبادئ النهضة في تدريس اليونانية والقانون وعلوم الطبيعة.